

العلم بين دعوة ابراهيم عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم

أ.م.د. محمد حسين عبد الله بنجويني

جامعة السليمانية كلية العلوم الإسلامية - قسم الدراسات الإسلامية

mohammed.abdullah@univsul.edu.iq

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وإلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد دعا سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام أن يبعث الله في ذريتهما رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فقال تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾^(١)، فاستجاب الله لهما فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم^(٢)، فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥).

وقد تناولت في هذا البحث موضوع العلم الوارد في تلك الآيات الكريمة بدءاً بدعوة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام ثم باستجابة تلك الدعوة والتي ذكرت في الآيات التي تليها، مستعينا بالآيات التي نزلت بداية نزول الوحي - سورة العلق تحديداً- محاولاً بذلك إيجاد العلاقة المنطقية بين تلك الآيات والسورة رابطاً إياها بمعنى مقبول شرعاً وعقلاً معتمداً على الله تعالى، ثم على أقوال المفسرين - من القدامى والمعاصرين- في معاني تلك الآيات، ومن بعد تفاسير العلماء على النظر في الآيات متفكراً فيها محاولاً إيجاد ما يربط بينها باذلاً وسعي في ذلك، وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يكون تقسيمه بعد هذه المقدمة - على النحو الآتي:

المبحث الأول: أساسيات ووسائل طلب العلم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الأمور الأساسية لطلب العلم:

(١) سورة البقرة ١٢٧-١٢٩.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: (إني عبد الله لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى... الحديث). (مسند أحمد ٢٨/٣٧٩ (١٧١٥٠)).

(٣) سورة البقرة: ١٥١.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٥) سورة الجمعة: ٢.

المطلب الثاني: الوسائل المستخدمة في طلب العلم:

المبحث الثاني: الآفات والفتن التي تصيب طالب العلم والوقاية منها، واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآفات والفتن التي تصيب طالب العلم:

المطلب الثاني: وقاية طالب العلم من الآفات والفتن:

المطلب الثالث: أصناف الناس تجاه العلم:

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ فمن نفسي الشيطان،

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لي زلتي وتقصيري، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول

أساسيات ووسائل طلب العلم

المطلب الأول

الأموال الأساسية لطلب العلم

أولاً: الاستعانة بالله والتوكل عليه: أول آية نزلت من القرآن الكريم هي قوله: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١)، فجاء أمر القراءة الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم مقروناً بالاستعانة باسم الله تعالى، أي حال كونك مفتتحاً للقراءة { باسم ربك } أي: بأن تبسمل، أو مستعيناً بالمحسن إليك متوكلاً عليه لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، قالوا: وهذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة إلا بالتسمية^(٢).

ثانياً: المعلم المرشد: العلم والتزكية لا يحصل عليهما العبد إلا بواسطة المعلم المرشد وقد أشارت آيات القرآن الكريم الى ذلك في أكثر من موضع في قوله تعالى { رسولا منهم } في سورتي البقرة والجمعة وفي سورة آل عمران قال: { من أنفسهم }، فمن أعظم نعم الله تعالى على عباده بعد نعمة الأيمان أن يسخر لهم معلماً هادياً يهديهم الى الطريق القويم وإلى الصراط المستقيم، فقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾^(٣) أي: منّ ذو الجلال والإكرام على المؤمنين لأنه خصهم بهذه النعمة بأن اختار لهم رسولاً (معلماً) منهم، يعلمون أمانته وصيانته وشرفه ومعاليه وطهارته قبل النبوة وبعدها، أي: يطهرهم من أوضار الدنيا والأوزار بما يفهمه بفهمه الثاقب من دقائق الإشارات وبواطن العبارات ويعلمهم كتاب ربهم وما فيه من حكم وتشريعات^(٤).

وللمعلم المرشد صفات يكون بها صالحاً لأن يكون معلماً، فقد قال الله تعالى في سورة البقرة وسورة الجمعة: { رسولا منهم } أي: يعرفون مولده ومنشأه وصدقه وأمانته، وإذا كان منهم كان أحرص الناس على خيرهم وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم^(٥)، ولأن معرفة ذات الشخص متقدمة على معرفة ما يصدر من أفعاله^(٦)، وهذا مهم جداً في المعلم حتى يكون أكثر قبولاً عند المتعلمين.

(١) سورة العلق: ١.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢ / ١٥٣، ومعارج التفكير، ١ / ٥١.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن ١ / ٥٠٧.

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٤ / ٥٨.

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ٢ / ٤٧.

وفي سورة ال عمران قال: { من أنفسهم } فقد وردت فيها قراءة من { أنفسهم } (بفتح الفاء) يعني من أشرفهم^(١)، أي من أحسنهم لأن المعلم لا بد أن يكون أعلى رتبة من المتعلم.

ثالثاً: التلاوة: ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات الأربع (البقرة ١٢٩ و ١٥١ وآل عمران ١٦٤ والجمعة ٢) تلاوة الآيات وجعلها متقدمة على التزكية وتعلم الكتاب والحكمة وفي ذلك إشارة الى أن مبتدأ أمر المسلم لا بد أن يكون من كتاب الله تعالى فهو الطريق الى تزكية النفوس وهو الطريق الى العلم وإذا ما التزم المسلم بهذا الطريق أمن على نفسه حال التزكية من الشطط والانحراف وأمن على نفسه حال العلم من الضياع والضلال والغرور، فقد قال تعالى: { يتلوا عليهم } أي: يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضاً على وجه الكثرة والعلو والرفعة^(٢).

رابعاً: استخدام الأدلة والبراهين: ذكر بعض المفسرين أن المقصود بـ(الآيات) الواردة في قوله تعالى: { يتلوا عليهم آياتك } هي: الآيات الكونية والعقلية الدالة على وحدانية الله تعالى وتنزيهه وعظمته شأنه، والدالة على صدق رسوله إلى خلقه^(٣)، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤﴾.

خامساً: التزكية: في الآية (١٢٩) من سورة البقرة قدم الله تعالى حكاية عن دعوة ابراهيم عليه السلام تعلم الكتاب والحكمة على التزكية لأن ظاهر دعوته عليه السلام أن البعث في الأمة المسلمة فكانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية فإن أصلها أي التزكية موجود بالإسلام فأخر قوله: { ويذكهم } أي: يظهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة، فترتقي بصفاتها، ولطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد على أدبارها وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها من اليهود والنصارى، والتزكية إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم^(٥).

أما في باقي الآيات الثلاث فقد قدم التزكية على تعلم الكتاب، فلما ذكر سبحانه وتعالى في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم، وأما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين لاقتضاء الحال بالمعاقبة على الإقبال على الغنائم الذي كان سبب الهزيمة لكونها إقبالاً على الدنيا التي هي أم الأدناس^(٦)، ويمكن الجمع بين الآيات الأربع بقولنا أن التزكية لازمة للمتعم فهو بحاجة إليها في أول انطلاقه في مسيرة طلبه للعلم من أجل اخلاص نيته وجعل مبتغاه من علمه رضا الله جل وعلا، ويحتاج إلى التزكية أيضاً في أثناء سلوكه طريق العلم من أجل أن

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢٦٣.

(٢) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ٤/ ٢٨١.

(٣) ينظر: تفسير المنار، ١/ ٣٨٨.

(٤) ال عمران ١٩٠-١٩١.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢/ ١٦٠.

(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢/ ١٦٠.

يفتح الله عليه فتوح العارفين ويرزقه التوفيق، ويحتاجها أيضاً بعد حصوله على العلم كي يأمن على نفسه من الانحراف والغرور والرياء والضلال.

فالعلم من غير تزكية قد يؤدي بصاحبه الى موارد الهلاك والضلال فقد قال تعالى في سورة العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿١﴾﴾ (١) فهذا إشارة الى أن البعض من الناس بعد أن ينعم الله عليه بنعمة من العلم والمال وغير ذلك ليتجاوز حده وليستكبر على ربه لأنه رأى نفسه غنياً (٢).

سادساً: معرفة الأسرار والحكم: جاء في الآيات الأربع ذكر تعليم الكتاب ثم ذكر بعده الحكمة فالكتاب هو كتاب الله تعالى وهو القرآن كما قال بذلك أغلب المفسرين (٣)، والحكمة اختلفوا فيها: فمنهم من قال انها السنة (٤) ومنهم من قال هي كل أمر يشرعه لهم (٥) ومنهم من قال هي غاية الكتاب في قوة فهمه والعمل به، فهي العلم المزين بالعمل، والعمل المتقن بالعلم معقوله ومنقوله ليضعوا كل شيء منه في أحكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنو إسرائيل، فيكون مثلهم: ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحَمَّلُ الْقَارِعَةَ﴾ (٦) ولو لم يكن له صلى الله عليه وسلم معجزة إلا هذه لكانت كافية (٧).

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال جميعاً، فيمكن أن نقول: إن الحكمة ما هي إلا بيان وتوضيح لأسرار الكتاب، والسنة هي شارحة وموضحة ومفصلة للقران وبيان أسرار القران ايضاً من الغايات التي يسعى اليها طالب العلم من أجل زيادة الإيمان وثبات اليقين وفي معرفة الحكمة من التشريعات والأوامر والنواهي من الفوائد الكثير فهي تزيد يقين المسلم بدينه وتدفعه الى العمل أكثر وتدفع شبهات المبطلين والمعرضين وتزيد من ثقة المسلم بكتاب ربه وتشريعاته وغير ذلك.

سابعاً: المواظبة والاستمرار وعدم اليأس: طلب العلم يحتاج الى تواصل واستمرار في طلبه ويمكن أن نستنبط ذلك من الآيات الكريمة والآتي:

إن الله سبحانه وتعالى قد كرر الأمر بالقراءة في سورة العلق تأكيداً فكأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم كلمة (٨)، {اقرأ باسم ربك} أي: مستعيناً بالله متوكلاً عليه، فإذا سرت في طريق العلم وواجهتك الصعاب فلا تيأس فربك كريم بل هو أكرم الأكرمين وذلك جاء في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾

(١) سورة العلق: ٧-٦.

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن، ٤/٥٠٨.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣/٨٦، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، ١/٢١٢، وتفسير القرآن للسماعي، ١/١٤١، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، ١/١٥٢، والبحر المحيط في التفسير، ١/٦٢٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ١/٤٤٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن، ١/٢٨٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢/١٦١.

(٦) سورة الجمعة: ٢.

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/٥١.

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٩٦.

الأفعال (يتلو، يعلمهم، يركبهم) جاءت بصيغة المضارع التي تفيد الاستمرار.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ و ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ و ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ و ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَنِي ضَلَّالٍ مُّبِينٍ ﴾ و ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا ﴾ فالله سبحانه وتعالى الذي علم الانسان المخلوق من قطعة دم أو من طين ولم يكن يعي شيئاً وعلمه ما لم يكن يعلم، وهو جل وعلا- علم أمة كاملة تتصف بالأمية - لا تقرأ ولا تكتب- فأخرجها إلى نور العلم بعد أن كانت في الضلال المبين، قادر على أن يمنحك من العلوم ويفتح لك ابواب المعرفة اذا ما استعنت به وأحسن التوكل عليه.

المطلب الثاني

الوسائل المستخدمة في طلب العلم

ذكر الله سبحانه تعالى أنه علم بالقلم، فقال تعالى في سورة العلق: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾^(١)، وذكر في الآيات الأربع - في سور (البقرة وال عمران والجمعة)، أن سبيل العلم بالكتاب والحكمة هو التلاوة من قبل معلم مرشد. فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يعلم من غير قلم ومن غير تلاوة ومن غير معلم بأن يخلق في الانسان من العلوم ما يشاء من غير أسباب؛ لكنه سبحانه وتعالى ذكر القلم والتلاوة هنا إشارة الى أن من أراد العلم فعليه أن يباشر أسبابه، ومن خلال الجمع بين تلك النصوص يمكن أن يتبين لنا أن الوسائل التي يمكن أن يتلقى بها العلم هي ثلاثة رئيسية وهي:

القراءة: يمكن استنباط هذه الوسيلة من قوله تعالى: { اقرأ }، فقد جاءت روايات في نزول هذه الآية أن جبريل عندما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء كان معه كتاب ملفوف في ديباجاً^(٢)، ومما يؤكد هذه الرواية قوله صلى الله عليه وسلم: { ما أنا بقارئ } ولم يقل { ما اقرأ } إشارة الى أن هناك كتاب مكتوب ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يعرف القراءة.

أ. **الكتابة:** وهذه الوسيلة يمكن استنباطها من قوله تعالى: { الذي علم بالقلم } فالقلم خلقه الله تعالى للكتابة والخط^(٣) وهو سبب به يحفظ، وبه يثبت، وبه يوصل إلى حفظ ما يخاف فوته ونسيانه من أمر الدين والدنيا، فلو لم يكن القلم، لم يستقم أمر الدين ولا الدنيا^(٤)، وهذا خير دليل على أن الكتابة من أهم وسائل التعليم والتعلم.

(١) سورة العلق: ٣-٤.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٢٣٦، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ٧١٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤/ ٥١٩.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ١٠/ ٥٧٨.

ب. السماع: من قوله تعالى: { يتلو عليهم } أي: أن هناك من يقرأ وهو المعلم الذي هو الرسول هنا وأن هناك من يستمع وهو المتعلم.

المبحث الثاني

الآفات والفتن التي تصيب طالب العلم والوقاية منها

المطلب الأول

الآفات والفتن التي تصيب طالب العلم

أولاً: الغرور: إن من أعظم الفتن التي قد تعرض لطالب العلم هي فتنة الإعجاب بالنفس والغرور الذي يفضي الى التكبر فهذه الفتنة كانت سبباً في إنزال إبليس من مرتبة الملائكة الى مرتبة الشياطين بل ان الله سبحانه وتعالى قد صاغ لإبليس اسماً من هذه الصفة فسماه (الغرور) بفتح الغين كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَزَّكَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾^(١) أي: الشيطان^(٢)، وهذا الشيطان سيقبى يحاول إغواء الإنسان بشتى الطرق والوسائل ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) إلا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴿^(٤) وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الإنسان قد يتأثر بغواية الشيطان فيتكبر ويطغى فقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾^(٥) أي: من شأنه — إلا من عصمه الله سبحانه — أن يزيد على الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته { أن رآه } أي: علم الإنسان نفسه علماً وجدانياً { استغنى } أي: وجد له الغنى، هذا هو الطبع الغالب في الإنسان متى استغنى عن شيء عمي عن مواضع افتقاره، فتغيرت أحواله معه، وتجاوز فيه ما ينبغي له الوقوف عنده^(٥).

ثانياً: العلم من غير عمل: ضرب الله لنا في كتابه العزيز يصور لنا فيه حال من حمل العلم ولم ينتفع فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) فهؤلاء بنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة.. ثم لم يحملوها.. فحملها بيدهم بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الواقع. ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم - وكما هي في حقيقتها - لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا إنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها، وليس شريكاً في الغاية منها!، ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها.. كل الذين حملوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها، والمسلمون الذين غيرت بهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون في هذا الزمان، وهم يحملون أسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين. وبخاصة أولئك الذين يقرأون القرآن والكتب، وهم لا ينهضون بما فيها، أولئك كلهم،

(١) سورة الحديد: ١٤.

(٢) ينظر: موسوعة التفسير المأثور ٣٤٥/٢١.

(٣) سورة الحجر: ٣٩.

(٤) سورة العلق: ٦.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢/ ١٦٢.

(٦) سورة الجمعة: ٥.

كالخمار يحمل أسفاراً. وهم كثيرون كثيرون ! فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتب^(١).

يقول تعالى: ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الخمار يحمل أسفاراً، أي: كمثل الخمار إذا حُمِلَ كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسيماً ولا يدري ما عليه.

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير لأن الخمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَتِفُونَ﴾^(٢) (٣).

ثالثاً: فتنه المال: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾^(٤) في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً^(٥)، في رواية: فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وقد ذكر الكلبي وغيره: أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من بر ودقيق وغيره، فنزل عند أحجار الزيت، وضرب بالطليل ليؤذن الناس بقدمه فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً، وقيل: أحد عشر رجلاً، قال الكلبي: وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا إليها، وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال، حكاه الثعلبي عن ابن عباس، وذكر الدارقطني^(٦) من حديث جابر بن عبد الله قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا يوم الجمعة إذ أقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا إليها وانفضوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه إلا أربعون رجلاً أنا فيهم، قال: وأنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾^(٧) (٨).

رابعاً: الانسلاخ من الهدى بعد العلم به: إن من أشد الناس خسارة إنسان يؤتاه الله من آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكنه ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه، فإذا ما انسلاخ من آيات الله وتجرد من الغطاء الواقى، والدرع الحامي وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفرع بئس نكد،

(١) ينظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٦٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/ ١١٩.

(٤) سورة الجمعة: ١١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً، ٥٩٠/٢ (٨٦٣).

(٦) سنن الدارقطني، كتاب الجمعة، ذكر العدد في الجمعة ٣٠٧/٢ (١٥٨٣).

(٧) سورة الجمعة: ١١.

(٨) ينظر: تفسير القرطبي ١٨ / ٨٦.

إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد وبلهث إن لم يطارد، على المشهد كله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظَاهُونَ ﴿٧٨﴾﴾^(١) ذلك مثلهم ! فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم، ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخاً، هابطون عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان.. مكان الكلب الذي يتمرغ في الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين وكانوا من فطرتهم الأولى في أحسن تقويم، فإذا هم ينحطون منها إلى أسفل سافلين! ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظَاهُونَ ﴿٧٨﴾﴾^(٢).

هذا حال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها.. وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه وإتباع الهوى به هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم في وهمهم عرض الحياة الدنيا^(٣).

إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان وانسلخ من نعمة الله ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان ولينتهي إلى مرتبة الحيوان! ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع!^(٤).

فهو مثل لا ينقطع وروده وجوده وما هو بمحصور في قصة وقعت، في جيل من الزمان ! وقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوه على قومه الذين كانت تنزل عليهم آيات الله، كي لا ينسلخوا منها وقد أوتوها، ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو.

فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة ! اللهم اعصمنا، وثبت أقدامنا، وأفرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين^(٥).

المطلب الثاني

الوقاية من الآفات

للوقاية من الآفات التي مر ذكرها في المطلب السابق لابد لطالب العلم أن يتحلى بجملة من الأمور والتي يمكن أن نستنتجها من آيات القرآن الكريم، وهي:

(١) سورة الأعراف: ١٧٦-١٧٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٣ / ١٣٩٧.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٣ / ١٣٩٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٣ / ١٣٩٧-١٣٩٨.

(٥) ينظر: في ظلال القرآن ٣ / ١٣٩٨.

١- الصبر: طريق طلب العلم طريق مليء بالأشواك والمنغصات فطالب العلم تجذبه حبه للعلم جهة وشهوات الدنيا وملذاتها وفتنها من جهة أخرى، لذلك فطالب العلم أحوج ما يكون الى الصبر عند سيره في طريق العلم، فقد جاء ذكر الصبر في سورة البقرة بعد الآية (١٢٩) فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) فهنا أمر الله تعالى المؤمنين أن يستعينوا بالصبر من أجل أن يكونوا في معية الله ومن كان في معية الله فلن يضيعه الله ابداً، فطالب العلم يحتاج أن يصبر على الاستمرار في التعلم ويحتاج أن يصبر على العمل بما علم، ويحتاج ان يصبر على الدعوة الى ما تعلمه ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾^(٢) فما هدف العلم بعد الايمان الا دعوة الناس اليه وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: ((بلغوا عني ولو آية))^(٣).

كما أن على طالب العلم أن يصبر على المعلم ولا يتعجل كطف الثمرة قبل أوانها ونجد هذا المعنى واضحاً في قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر حيث قال تعالى حاكياً عن الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٤)، وجاء الجواب من موسى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٥).

٢- الدعاء: أمر الله سبحانه وتعالى عبده بالدعاء فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٦) ولا شك ان طالب العلم أحوج من غيره الى الدعاء لأن نعمة العلم نعمة عظيمة لا يؤتيها الله تعالى لكل أحد بل انه يختص بها من شاء من عباده، وقد جاء مع الاستعانة بالصبر الاستعانة بالصلاة، والصلاة تأتي بمعنى الدعاء، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا استشكلت عليه مسألة دعا فقال: (اللهم يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني)^(٧) فيزول الإشكال.

كما إن على طالب العلم ان لا يتعجل الإجابة فالله سبحانه وتعالى أعلم بالوقت الأنسب والأفضل لإجابة الدعاء فسيدنا ابراهيم عليه السلام دعا لذريته قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وجاءت الاجابة من الله تعالى بعد قرون طويلة حيث كانت اجابة هذه الدعوة ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث: ((اول ذلك دعوة أبي إبراهيم))^(٨) وقد يدعو العبد بشيء يظن أن فيه صلاح أمره إلا أن من لطف الله تعالى بعباده أنه يجيب الدعاء ولكن بما هو أصلح للعبد فإبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا الله قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(٩) إلا أن الإجابة كانت بغير هذا الترتيب فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا

(١) سورة البقرة: ١٥٣.

(٢) سورة العلق: ١١-١٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب احاديث الانبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، ٤/ ١٧٠، (٣٤٦١).

(٤) سورة الكهف: ٦٧.

(٥) سورة الكهف: ٦٩.

(٦) سورة غافر: ٦٠.

(٧) المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٥٠/٥.

(٨) مسند أحمد، ٢٨/٣٧٩ (١٧١٥٠).

وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿١﴾ فإبراهيم عليه السلام قدم تعلم الكتاب والحكمة على التزكية فقدم الوسيلة على الغاية بينما جاء الاجابة من الله تعالى مقدمة الغاية - وهي التزكية- على الوسيلة التي هي تعلم الكتاب والحكمة.

٣ - التقوى: قال تعالى في نهاية سورة العلق: ﴿كَلاَّ لَا نُظْعَهُ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ ﴿١﴾ وفي بدايتها أمر بالقراءة فقال: { اقرأ } فكأن الله سبحانه وتعالى يقول للمسلم: إذا أردت العلم وأردت أن تنجو من الضلال فعليك بالتقرب الى الله تعالى، واقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد لأن السجود لله عز وجل يمثل في حركة الجسم غاية الخضوع لله تعالى وذلك بوضع الناصية - محل العلم والتعلم- على الارض وذلك وتضرعاً وخضوعاً فكلما زاد العبد خضوعاً زاد قرياً من الله تعالى^(١).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴿٢﴾﴾ فقدم التقوى على العلم اي أن طريق العلم الصحيح النافع هو تقوى الله تعالى.

٤ - ذكر الله وشكره: في أول آية نزلت من القرآن قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ أي ابدأ قراءتك وتعلمك باسمه تعالى، وقال تعالى في سورة البقرة بعد ذكر فضله على الامة ببعثة الرسول فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿٣﴾﴾ فذكر الله تعالى وشكره على ما أنعم من نعمة العلم وغيرها من النعم فهو الوسيلة للحفاظ على هذه النعمة وزيادتها فقد قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٤﴾﴾.

٥ - تذكر الموت: ذكر الله تعالى الموت بعد ذكره للعلم والقراءة في سورة العلق وفي الآيات الأربع التي هي محور هذا البحث: ففي سورة العلق قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿١﴾﴾ أي تذكر ايها الانسان ان محاسبتك ومجازاتك لا بد لها من حياة أخرى بعد هذه الرحلة في الحياة الدنيا فلا تغتر بما آتاك الله، وفي سورة البقرة ذكر وصية ابراهيم عليه السلام بالحرص على الالتزام والتمسك وذلك بعد دعوته لذريته بأن يبعث لهم رسولا يعلمهم فقال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ثم يأتي ذكر الموت ايضاً في سورة البقرة بعد الآية (١٥١) فقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ ﴿٦١﴾﴾ وفي ذلك إشارة الى ان من تعلم العلم الصحيح عليه أن يوقن أن من عاش في سبيل الله ومات في سبيل فليس يميت إنما هو حي عند الله تعالى ولا شك من أن من

(١) معارج التفكر: ١/ ٦٩-٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة: ١٥٢.

(٤) سورة ابراهيم: ٧.

(٥) سورة البقرة: ١٣٢.

(٦) سورة البقرة: ١٥٤.

طلب مبتغياً في علمه وجه الله تعالى داعياً إليه خاتماً حياته على ذلك كان ذلك في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))^(١).

وفي سورة ال عمران يأتي ذكر الموت ايضاً مبيناً فيه أن من علم وعمل ودعا الى الله أوقن بان الموت إنما هو حياة أخرى أفضل وأسمى من هذه الحياة أما من جهل وضل وانحرف وانحصرت معرفته للحياة بهذه الحياة الدنيا القاصرة فبين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْآخِرَةِ نَحْنُ وَقَدَرُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾^(٢) وفي سورة الجمعة بعد ذكر عدم انتفاع بني اسرائيل بالعلم وشبههم بالحمار الذي يحمل اسفاراً قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾﴾^(٣) فمن حمل العلم ولم يعمل به كان هذا شأنه حريصاً على الحياة، أية حياة كانت عزيزة أو ذليلة لأنه يعلم أن ما بعد الموت أشد وأدهى مما في هذه الحياة وهي لفنة من اللفتات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين.

تقر في الأخلاق حقيقة ينساها الناس، وهي تلاحقهم أينما كانوا.. فهذه الحياة إلى انتهاء، والبعد عن الله فيها ينتهي للرجعة إليه، فلا ملجأ منه إلا إليه، والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة فلا مهرب ولا فكاك.

٦ - الموازنة: على طالب العلم ان يوازن بين طلبه للعلم وحاجاته الدنيوية الأخرى فقد قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾﴾ يقول صاحب الظلال: وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر والعلم.

وهي ضرورة حياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى وذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، ولكنه مع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل، والتجرد المحض، كما توحى هاتان الآيتان، وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: "اللهم إني أجب دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين)، وهذه الصورة تمثل لنا كيف كان يأخذ الأمر جدًّا، في بساطة تامة، فهو أمر للتنفيذ فور سماعه بحرفيته وبحقيقته كذلك!^(٤).

(١) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب فضل العلم، ٢٩ / ٥. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٨-١٦٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٣٥٦/١٠.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٧١.

المطلب الثالث

أصناف الناس تجاه العلم

- ١ - صنف علم وتمسك ودعا الناس الى ما تعلمه: فهذا الصنف مهتد بنفسه يحمل هم الدعوة وهم هداية الآخرين وإرشادهم الى الطريق القويم وقد جاء وصفه بعد الصنف الأول في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ (١)
- ٢ - صنف علم وتمسك بما علم من غير دعوة الى ما تعلم: فهذا الصنف من الناس مهتد بنفسه لا يحمل أعباء الهداية وقد وصفه الله تعالى في سورة العلق بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ فهذا عرف طريق الحق واهتدى به واكتفى بذلك.
- ٣ - ضل بنفسه وأعرض عن العلم: هذا الصنف لاح له طريق الحق لكنه رفض السير فيه وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فهذا كذب بالحق لما جاءه وضل عن الطريق إلا أنه لم يدع الى ضلاله.
- ٤ - ضل ودعا الى الضلال: وصف الله تعالى هذا الصنف بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۖ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۖ﴾ فهذا الصنف كذب بالحق لما جاءه ولم يكتف بالتكذيب بل إنه ينهى من سلك طريق الحق عن المضي في طريقه.
- ورد ذكر أصناف الناس بالتقسيم السابق في أول سورة نزلت من القرآن الكريم وجاء ذكرهم بعد أمر الله تعالى لنبيه بالقراءة بقوله: ﴿اقْرَأْ﴾ وفي هذا إشارة من رب العزة جل وعلا- لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن الناس سيكونون على هذه الشاكلة بعضهم مهتدون منتفعون بالعلم داعون الى الحق والدعاة الى الحق متفاوتون بمهمهم ونشاطهم، والبعض الآخر ضالون ومضلون وهم متفاوتون كذلك في ضلالهم وإضلالهم ومن أجل تثبت من علم وعمل بما علم جاء التوجيه الالهي له بان لا تطع الضالين واقترب الى ربك بالعبادة فهذا هو سبيل النجاة فقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (٢) (٣)

(١) سورة العلق: ١٢

(٢) سورة العلق: ١٩.

(٣) ينظر: معارج التفكير ١ / ٦١-٧٤.

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد انتهيت بفضل الله ومنه من كتابة بحثي الموسوم بـ(العلم بين دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم)، وقد توصلت فيه إلى مجموعة من النتائج أذكرها بشكل مجمل تاركاً تفصيلها في متن البحث:

١. حرص الإسلام على التعليم والتعلم، وقد ظهر ذلك جلياً في أول آية نزلت من القرآن الكريم إذ قال تعالى: (اقرأ)، كما بدا ذلك واضحاً في دعوة نبي الله ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فقد دعيا لذريتهما من بعدهما أن يبعث الله فيهم رسولاً يعلمهم أمر دينهم وديناهم.
٢. العلم لا يتأتى إلا بتوفيق الله تعالى والتوكل عليه، لذلك يجب على طالب العلم أن يتوكل على الله ويستعين به في مسيرته العلمية.
٣. من أخذ على عاتقه تعليم الناس وإرشادهم فعليه بتقوى الله تعالى وتركية نفسه وإن لا يكون علمه مدعاة للغرور والتكبر على عباد الله.
٤. وسائل أو طرق تلقي العلم متعددة فالعلم يتحصل بالقراءة، وبالكتابة، والسماع، ولكل وسيلة استخدامها بحسب العلم الذي يرجى إيصاله للمتعلم وبحسب المتعلم وإمكانياته، وأفضل العلم وأثبت ما جمع بين هذه الوسائل جميعاً.
٥. طريق طلب العلم طريق تعترضه الكثير من العوائق والعقبات والفتن، فعلى طالب العلم أن يكون صبوراً، وأن لا يتعجل قطف الثمرة قبل نضوجها.
٦. لا يأمن الإنسان على نفسه من مكر الله وإن كان صاحب علم فكم من صاحب علم أودى به علمه الى النار والعياذ بالله. وفي الختام يبقى هذا الجهد جهداً بشرياً يعتريه الزلل والخطأ والنقص فما كان فيه من صواب فمن الله عز وجل وحده، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو نسيان، فبتقصير مني، والله ورسوله وأهل العلم منه براء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٢. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ—)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٥م.
٤. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.
٥. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٧. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن مجد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.
٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٩. توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحرمللي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، الرياض، ودار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

١٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧ هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
١٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤدة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٥. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلي، عد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٦. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
١٧. صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ م.
١٩. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ)، عنى بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت لبنان، ط: ٣٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢١. المستدرک علی مجموع فتاویٰ شیخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (ت ١٤٢١ هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٨ م.
٢٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ - ٢٠٠١ م.
٢٣. معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٥. موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح بن يحيى الشهري، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ، ٢٠١٧ م.

٢٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.